

المحددات المؤثرة في السياسة الاستعمارية الفرنسية في غرب افريقيا خلال نهاية القرن 19م

Les déterminants de la politique coloniale française en Afrique de l'Ouest à la fin du XIXe siècle

د: لياس نايت قاسي lies.naitkaci@gmail.com

أستاذ : محاضر قسم أ ، المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة-

تاريخ الارسال: 04-05-2020 تاريخ النشر: 31-05-2020

الملخص :

تتناول هذه الورقة البحثية العوامل المؤثرة في السياسة الاستعمارية الفرنسية في غرب افريقيا، فقد شهدت فرنسا أوضاعا حرجية بعد الحرب السبعينية ضد بروسيا 1870م، و حالة الانهيار التي شملت مؤسساتها السياسية و الحرب الاهلية او ما يعرف بالأسبوع الدموي، هذا ما اثر على الوجود الفرنسي في افريقيا فانسحبت تقريبا من جل مستعمراتها في غرب افريقيا و اختصرت وجودها في بعض النشاطات التجارية، و ظهر تيار سياسي جمهوري التوجه امبراطوري التطلعات، هدف الى إعادة فرنسا الى سابق عهده، ووجدوا في الاستعمار حل لما تعانيه فرنسا فسقوط فرنسا الاوربية عجل بسقوط فرنسا الاستعمارية و بالتالي خطر فقدان مجالها الحيوي.

كما تعرضنا الى مؤتمر برلين 1884-1885 على اعتبار انه محطة حاسمة في عملية اقتسام افريقيا، و شرعنة النشاط الاستعماري فيها، مركزا على النشاط الاستعماري الفرنسي في غرب افريقيا.

الكلمات المفتاحية:

الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية، غرب افريقيا، مؤتمر برلين، جول فيري، كليمونصو، التسابق الاستعماري

Résumé

Cet article traite les facteurs affectant la politique coloniale française en Afrique occidentale. La défaite de Sedan et la capitulation de Napoléon III provoquèrent, le 4 septembre 1870, la chute du Second Empire ainsi que l'exil de Napoléon III, et marquèrent la naissance en France d'un régime républicain pérenne avec la Troisième République. L'humiliation est totale, que ce soit sur le plan des défaites militaires ou des conséquences politiques sur le pays et surtout avec la perte d'une partie du son territoire national l'Alsace-Lorraine. Cette situation dramatique côté français

provoqua en France un sentiment de frustration durable et extrême qui contribua à relancer le processus coloniale en vers l'Afrique occidentale.

Mots clés :

Colonisation Française, Empire, Ferry, Clémenceau, Afrique occidentale

مقدمة:

عرف القرن التاسع عشر نشاطا استعماريا رهيبا، سواء من حيث سرعة التوسع أو حجم المجهود المبذول في ذلك، ودخلت القوى الأوروبية في هستيريا البحث عن مجال حيوي لاقتصاداتها، وهو ما أصطلح عليه جول فيري بسباق القفز على الحواجز في إشارة منه إلى التسابق الاستعماري بين مختلف الدول الأوربي.

ولعل ما حققته الإمبراطورية الفرنسية من توسع جغرافي وديموغرافي في إفريقيا جدير بالاهتمام والدراسة، خاصة وأن فرنسا الاستعمارية قد خرجت للتو من حالة الانهيار الشامل التي أعقبت انهزامها أمام بروسيا الألمانية سنة 1870، وشعورها بمخاطر فقدان مستعمراتها فيما وراء البحار، اتضح ذلك جليا بعد انتفاضة منطقة القبائل في الجزائر والتي ابانت ضعف وهشاشة هذه الإمبراطورية، أضف إلى ذلك الحرب الأهلية بين قوات فرساي وكمونة باريس.

في هذه الأوضاع الحرجة ظهر تيار سياسي ذو توجهات جمهورية وتطلعات إمبراطورية، واعتبر الحل لحالة التآزم الفرنسي في مزيد من الاستعمار، فالاستعمار مسألة حياة أو موت. إذا الإشكالية الرئيسة المتناولة في هذه الورقة البحثية هي الإجابة عن السؤال التالي: ما هي المحددات والعوامل التي اثرت في توجهات السياسة الاستعمارية الفرنسية في غرب إفريقيا؟

أولا بدايات الاستعمار الفرنسي في إفريقيا

مثلت الظاهرة الاستعمارية محصلة منطقية لتطور النظام الرأسمالي، وهي وليد شرعي لهذا النظام الذي نشأ و نما أوربيا منذ بداية القرن السادس عشر مع الكشوف الجغرافية¹ - نتعامل مع جذور أو على الأقل بذور الاستعمار المعاصر مباشرة-، فقد ولد الاستعمار الحديث في حجر الكشوف الجغرافية²، و ظهور شكل من الاقتصاد المركنتلي و التجارة الأطلسية، ليتسع و يمتد ليصبح مع أواخر القرن التاسع عشر و العقود الأولى من القرن الماضي منظومة و مرجعية فلسفية و فكرية في النظر إلى الكون و الإنسان³، وعملت أقدام كثيرة على إثراء هذا التوجه المتعدد الأبعاد.

لقد اجمعت الكتابات الوطنية على خطورة الظاهرة الاستعمارية ومفعولها في ترسيخ تأخر إفريقيا ومحاولة ادماج اقتصاديات دولها ومجتمعاتها بالمنظومة الرأسمالية⁴. إن الظاهرة الاستعمارية لا تعود إلى ماضٍ انقضى

وانتهى بل ترتبط بنوع من الماضي-الحاضر، وبما انه ماض لم يمر عليه زمن طويل فانه يحدد الحاضر بصورة حتمية⁵ ويؤثر في توجيهه.

يعرف الاستعمار بأنه قدرة شعب على الانتشار والتكاثر والسيطرة على العالم كله او جزء منه بهدف فرض لغة المستعمر وعاداته وافكاره وقوانينه، فالشعب انما يمارس الاستعمار من اجل ارساء عظمته وتفوقه على اسس متينة، كل القوى الحية في الامة المستعمرة تنتعش بفضل اندفاعها بحيوية و نشاط خارج اراضيها.

وقد اشار سيلبير في مدحه وتبريره للقوة المصاحبة للهيمنة الاستعمارية باعتبار انها تمكن الاجناس الراقية من احتلال المزيد من الاصقاع الجديدة " بانتهاج عملية جراحية مؤلمة ولكنها ضرورية لفرض النظام والامن على الشعوب الهمجية".⁶

وقد حاولت الكثير من المدارس الفكرية تبرير الاستعمار و اظهار ما له من تأثيرات إيجابية على الشعوب المستعمرة و في ذلك كتب ارنست رينان سنة 1871 : " الامة التي لا تمارس الاستعمار محكوم عليها لا محالة بان تتردى....اذا اقدمت امة راقية على احتلال امة اخرى من جنس وضيع فليس ثمة ما يدعو الى الاستتكار...و يعطي المثل بإنكلترا فيقول : هذه انكلترا تمارس ذلك النمط من الاستعمار في ممتلكاتها بالهند و هذا عمل في صالح الهند ذاتها بل في صالح البشرية ثم في سبيل تحقيق مصالح انكلترا الوطنية...لئن كان احتلال الاجناس الراقية لبعضها البعض عملا مستهجنا فالعكس صحيح، ذلك ان اقدام الاجناس الراقية على احياء الاعراق المنحطة مهمة نابعة من صميم العناية الالهية بالبشر".⁷

كان من أبرز النتائج السياسية للكشوف الجغرافية تزايد التنافس الاوربي على مناطق الثروة في العالم، فمع اتساع ابعاد العالم اتسعت معه ابعاد الصراع بين القوى الاستعمارية، وخرج الاستعمار لأول مرة من دائرته التقليدية وأصبح دوليا بعد ان كان اقليميا⁸ وليس كل صراع بين القوى من اجل الاستعمار، ولكن كل استعمار هو صراع من اجل القوة.

كانت فرنسا احدى الامبراطوريات الاستعمارية الاكثر شراسة وقد عاشت شعوب افريقيا كلها في الواقع تجربة امتحان عسير مع الاستعمار الفرنسي الشرس والمشاغب⁹.

ان دراستنا للإمبراطورية الفرنسية الاستعمارية ومحاولة معالجة اساليبها الادارية و القانونية و قبلها تطور الفكر الاستعماري لدى نخبتها، لا ينطلق من فكرة انها تمثل نموذجا و تجربة فريدة¹⁰ فقط، و انما نظير جسامة احداثها و تعدد انعكاساتها و طول مدتها الزمنية.

بدا الاستعمار الفرنسي في العصور الحديثة منذ القرن 17 م وقد تأخر ظهوره بسبب توجهات ملوكه الرامية الى السيطرة الاقليمية والسيادة في أوربا، بالإضافة الى ضعف فرنسا في المجال السيطرة البحرية مقارنة مع

الامبراطوريات الهولندية والانجليزية، وتقريبا منذ اعتلاء الملك لويس الرابع عشر وظهور شخصيات في شكل روشيليو و كليبر فقد اعطوا للإمبراطورية الفرنسية بعدها الدولي، و عموما يمكن تقسيم مراحل تطور الاستعمار الفرنسي الى مرحلتين حاسمتين:

- اولاهما و هي محاولة بناء إمبراطوريتها الاولى تغطي القرنين السادس عشر و السابع عشر و التي توقفت في عهد نابليون 1814م، و اتجهت عموما الى العروض المعتدلة و العالم الجديد خاصة في كندا و جزر الكاريبي و في الهند و جزر المحيط الاطلسي¹¹، و اتسمت بالاستعمار السكاني الاستيطاني الى حد بعيد¹².
- اما الثانية فتحتل القرن التاسع عشر و تبدأ باحتلال الجزائر 1830، وتتصرف في جوهرها الى العروض المدارية و البلاد القديمة في شمال افريقيا تونس و المغرب الاقصى و في غرب القارة الإفريقية: السنغال موريتانيا السودان الفرنسي، غينيا الفرنسية، ساحل العاج، داهومي، النيجر، فولتا العليا¹³، كما مدت فرنسا نفوذها الى ما سمي بإفريقيا الاستوائية: تشاد، وسط افريقيا، الكونغو، جابون، و في الساحل الشرقي للقارة ثبتت فرنسا اقدامها في الصومال "الفرنسي" بالإضافة الى جزيرة مدغشقر، وقد سادها الطابع الاستعمار الاستغلالي¹⁴.

شهدت فرنسا خلال القرن الثامن عشر الى حوالي سنة 1814 فقدانها لممتلكاتها في امريكا و خاصة بعد تبني مبدأ مونرو امريكا للأمريكيين و محاولة انهاء النفوذ الأوربي البريطاني و الفرنسي و الاسباني عن القارة، وفشل مشروع الإمبراطورية على يد نابليون بونابرت و محاولة تصدير مبادئ الثورة الفرنسية قاريا و انهزامه امام التحالف الأوربي في معركة واترلو سنة 1814 و إعادة فرنسا الى ما كانت عليه قبل ثورتها تنفيذا لمبادئ نظام توازن القوى¹⁵، و اتجهت اهتمامات فرنسا بالتوسع في القارة الافريقية¹⁶، و كان احتلال الجزائر النقطة الصفر في ذلك، و قد ربط شارل العاشر الفرنسي قراره احتلال الجزائر ضمن استراتيجية فرنسا محاولة التمدد و اقامة مستعمرة لها في الضفة الجنوبية للمتوسط على سبيل السيطرة و فرض هيمنتها على المنطقة، وكبح التمدد الانجليزي و سيطرته على مفاصل البحر من مضيق جبل طارق الى جزر مالطا، و قد صرح الملك الفرنسي لويس فيليب " ان فرنسا غير مستعدة للتخلي عن الجزائر بل لا تريد ان ترى انجلترا في بحيرة لا تطل حتى عليها¹⁷

تستر انصار المشروع الاستعماري في الجزائر وراء العديد من الذرائع الواهية منها: تحطيم وكر القراصنة و تأمين حرية التجارة في البحر الابيض المتوسط، و في الحقيقة ان هذه الدوافع كانت نفسها لحروب نابليون فقد برر اغتصاب ممتلكات الغير باسم حماية الاستقلال الوطني و الدفاع عن شرف فرنسا و توسيع رقعة الحدود و تحقيق المصالح التجارية و الاحتياط للمستقبل و هو نفس ما افرز و انتج خطابا لشرعنة الممارسات السياسية الفرنسية - الغزو و الاحتلال -، وقد صرح فيري بما يلي: " اكرر القول بان الاجناس الراقية تملك حق احتلال

غيرها لان عليها بعض الواجبات ازاءها، فمن واجبها ان تنتشر الحضارة بين الاجناس الدنيا" ¹⁸ والحقيقة ان فرنسا حاولت الباس الاستعمار ثوبا جذابا ¹⁹، و برر فيري العمليات العسكرية الفرنسية في الجزائر بشكل عام بمحاولة تأمين مستقبل فرنسا في افريقيا، حيث تقع الجزائر وهي اروع ممتلكاتها، التي خصبت ارضها بدمائها وخصبتها بأموال خزائنها ²⁰

رغم ان احتلال الجزائر لم يقابله توافق في الداخل الفرنسي، إلا ان فكرة انشاء امبراطورية فرنسية لقت قبولا ومؤيدين لها ²¹، و راهنت فرنسا على السيطرة و التمدد ووضعت جدولا زمنيا للتحقيق السيطرة الكاملة من خلال التوغل في الصحراء و وصولا الى وسط افريقيا، الا انها راجعت خططها بعدما تكبدته من خسائر بشرية و مادية امام قوة المقاومة الجزائرية و التي كانت اول جدار صد حقيقي للمشروع الاستعماري الفرنسي لإفريقيا، و قد اجبرت المقاومة العنيفة و الشرسة من الجزائريين بفرنسا الى تعطيل المشروع الاستعماري الفرنسي، و لم تتخذ فرنسا سياسة توسعية في غرب افريقيا الا خلال فترة حكم نابليون الثالث 1848-1870، و تراجع المقاومة الجزائرية بزعامه الامير عبد القادر و احمد باي.. وفي عهده إعادة فرنسا بعث مشروعها الاستعماري لافريقيا و اعتمدت حكومتها على أنصار التوسع والاستعمار وعلى الأحزاب الدينية، واستمرت تلك السياسة حتى هزيمتها في الحرب السبعينية، ويمكننا القول أنه في هذه الفترة الممتدة من 1851 حتى 1870 تم وضع القواعد الاساسية للتوسع والاستعمار في افريقيا وآسيا.

إذا حاولنا تلخيص السياسة الفرنسية في غرب افريقيا حتى منتصف الخمسينات من القرن التاسع عشر سنجد :

- السنغال : اسست منذ عام 1626م، كانت المستعمرة الرئيسة و لذلك بذلت الجهود لتطويرها و الاهتمام بها دون غيرها من المناطق، و كانت الفكرة الرئيسة هي العمل على تأمين المستعمرة و عدم التوسع في المزيد من الاراضي. ²²
- منطقة غينيا الفرنسية: تركز النشاط الاستعماري على المنطقة الساحلية المعروفة باسم انهار الجنوب، حيث تم انشاء الوكالات و المراكز التجارية، اما المناطق الداخلية لهذه المنطقة و هي فوتا جالون فلم يتم تدعيم السيطرة عليها خلال هذه الفترة ²³. اما في ساحل غينيا سنجد ان فرنسا وطدت نفوذها في ساحل العبيد عن طريق عقد المعاهدات التجارية مع حكام هذه المنطقة، كذلك اتبعت نفس السياسة و الاسلوب مع زعماء منطقة ساحل العاج .

ثانيا: الحرب السبعينية وأثرها على السياسة الاستعمارية الفرنسية:

يعتقد اغلب المعاصرين ان التوسع السريع الذي عرفته الامبراطوريات الاستعمارية يعد أعظم حدث تاريخي وقع في نهاية القرن التاسع عشر، ذلك انه أحدث في مدى سنوات قليلة انقلابا جذريا في مكانة أوربا بالعالم

عموما ومكانة فرنسا بصفة خاصة. ولكن قبل الحديث عن هذا التحول، حبذا لو اطلعنا على الظروف التي احاطت به.

مثلت الحرب الفرنسية البروسية او الحرب السبعينية كما تعرف تحولاً مهماً في تاريخ العلاقات الدولية سواء الأوروبية أو الأوربية أو في الصراع المحموم على الاستعمار، فقد كان من نتيجة تلك الحرب القصيرة المدى أن سقطت الإمبراطورية الفرنسية تحت أقدام الجيش الألماني، و وصلت الى باريس انباء تسليم سيدان ووقع الامبراطور نابليون الثالث اسيرا في يد الالمان²⁴، و في باريس سارع فريق من دعاة الجمهورية في 04 سبتمبر 1870 الى تأليف حكومة مؤقتة لاستئناف القتال و لكن لم تلبث المقاومة الفرنسية ان انهارت و اضطرت باريس الى التسليم للجيش الالمانى ووضعت الحرب اوزارها²⁵. ودُعي الملك فيلهلم ليعتلي العرش الألماني بلقب قيصر ألمانيا وتوج رسميا في يناير من عام 1871م في قاعة المرايا بقصر فرساي الفرنسي وهكذا كُتب شهادة ميلاد الرايخ الألماني في ذلك القصر الفرنسي²⁶، و في عام 1875 وضع دستور الجمهورية الفرنسية الثالثة بعد فشل مكماهون في استعادة الملكية، و تم انتخاب جول جريفى Glues Grévy رئيسا للجمهورية عام 1879م²⁷ و به دخلت فرنسا عهدا جديدا.

لقد اثرت الحرب السبعينية على المصالح الفرنسية في غرب افريقيا، و انعكس ذلك على نفوذها، فقد انسحبت الفرق الفرنسية من مستعمرة السنغال و هو ما اعتبر تهديدا لكل المصالح الفرنسية في المنطقة²⁸، و كان الحال نفسه في منطقة خليج غينيا، بعد ان تم هجرة المنشآت الاقتصادية و التجارية، وبقي الوجود الفرنسي محدودا و متمثلا في حضور بعض التجار الفرنسيين من امثال فريديه Verdier و صديقه لابلين Laplène و قد نجحوا في بناء و اعادة تأهيل الكثير من المراكز التجارية الفرنسية في المنطقة، وهذا ما كان عليه الوضع في غينيا الفرنسية²⁹.

ان انحسار وانكماش المصالح الفرنسية وانسحاب فرقها عن المنطقة قد برر للبريطانيين حق التوسع والتمدد في المنطقة، ولهذا ستشهد المنطقة صراعا وتنافساً خطيرا بين الدولتين عندما حاولت فرنسا استعادة هذه المناطق متمسكة بما اعتبرته حقوقها التاريخية في المنطقة.

امام هذا الوضع الحرج جرت مناقشات عديدة في فرنسا بين مكونات مجتمعتها من ساسة و مفكرين، حول السبل و الطرق الكفيلة لإعادة الاعتبار للكيان و الهوية الفرنسية مما حدث في الماضي من صراع و شقاق وصل حد الحرب الاهلية، و في نفس الوقت محاولة محو مرارة هزيمة 1870 من نفوس الفرنسيين و ما انجر عنها من فقدان مقاطعتي (الزاس و لورين) و إهانة " للأمة الفرنسية " .

لقد استبدت بالفرنسيين في اواخر القرن التاسع عشر مخاوف كثيرة من الاضمحلال وفقدان ما بقي من مستعمراتهم القليلة بحوزتها، والرعب من تفسخ اوضاع البلد وتدهوره واشتداد الازمة³⁰، وفي هذا السياق اعتقد

الكثير من ان الخلاص الوطني الفرنسي مرهون بتحقيق مشروع استعماري ضخم ووضع الاسس لانبثاق فكر جديد متحفز لمواصلة الاحتلال، وتزعم هذا التوجه جول فيري³¹، في حين رأى اخرون من امثال كليمنصو³² بان الحل في الانتقام من المانيا³³ مما سيزيد من تلاحم المجتمع و تماسكه.

ان محاولة قراءة و تحليل هذه النقلة المذهلة في الفكر الاستعماري يقتضي استنكار الاوضاع التي عاشتها فرنسا³⁴ في الداخل و في الجزائر غداة الانهيار الشنيع في معركة سيدان 1870.

كان من مخرجات الحرب السبعينية خسارة فرنسا مقاطعتي الازاس و اللورين و ارغامها على الرضوخ لاحتلال جزء من ترابها من طرف الجيوش الالمانية الى غاية تسديد تعويضات الحرب كاملة (5 مليار فرنك) كان المنتصرون قد اشترطوها في معاهدة فرانكفورت الموقعة في 10 ماي 1871³⁵، وقد تسببت هزيمة الامبراطورية الفرنسية في انقلاب الاوضاع الاوربية رأسا على عقب و كانت لها على وجه الخصوص انعكاسات خطيرة في الجزائر حيث اندلعت فيها ابتداء من شهر جانفي 1871 مواجهات عنيفة بين الأهالي و المستوطنين ثم اخذت في شهر مارس من السنة ذاتها شكل انتفاضة عارمة في منطقة القبائل و استمرت المواجهة عدة شهور قبل ان يتمكن الفرنسيون من اخمادها³⁶، و اعتبرت فرنسا هذه الثورة بمثابة تحد حقيقي لمستقبل امبراطوريتها، بالنظر لحجمها و ظرفها.

و قصد ابراز هيبتها و محاولة اخماد الثورة قبل ان تتمدد، اضطر الجيش الفرنسي الى الاستتجاد بالقوات البحرية و ميليشيات المستوطنين في عمليات اخماد الثورة، و استطاعت ذلك بفضل تفوق اسلحتها و بأساليب القمع المرعبة و الفظيعة التي سلطتها على الجزائريين³⁷، يصفها لويس رين L.Rinn بقوله " كان القمع رهيبا فقد كانت عمليات القمع رهيبة حقا و لكنها لم تبلغ حد الشراسة المطلوبة هو سبب فشلها في تحقيق جميع اهدافها³⁸، و لكن تم اخماد انتفاضة القبائل فان الوضعية بقيت هشة و غير مستقرة ذلك ان ثورة الاوراس 1879 و ثورة الجنوب الوهراني 1881 قد تحولت الى انتفاضة عارمة زرعت الخوف و الهلع في نفوس المستوطنين. ولكن بما يمكن تفسير هذه الوحشية الفرنسية في تعاملها مع الوضع في الجزائر؟

حسب المؤرخ الفرنسي موريس وال Maurice wahl فان الاخبار الواردة عما لحق الجيش الفرنسي من هزائم، قد حطمت هيبة فرنسا و زعزعت كل المرتكزات الاساسية لهيمنتها الاستعمارية، و بأنه يمكن هزيمة الفرنسي و انتهاء إمبراطوريته العظمى، لهذا تعالت اصوات زعماء الانتفاضة سنة 1871 تحت المؤمنين على الجهاد، و استغلال هذا الظرف و هذا الضعف و الهوان الذي حل بالدولة المركزية لأخذ الثأر و التخلص من الاستعمار، مما اضطر الامبراطورية الفرنسية الى مجابهة اسوأ الازمات و أخطرها³⁹ منذ ظهور كيائها.

ان تدهور الاوضاع في مستعمرة الجزائر حسب الفرنسيين لم يسبق لها مثيل منذ استسلام الامير في 23 ديسمبر 1847 ، ويرسم وال صورة لحال الجزائر و اهاليها بقوله : " فالأهالي ضلوا الى غاية 1870، يعيشون

مطأطي الرؤوس تحت نير الاستعمار، و لم ينسوا هزائمهم السابقة و ما تركته في نفوسهم من رعب مشوب بنوع من الاعجاب، ازاء الجنود الفرنسيين و لاسيما ما تعلق ببنادقهم السريعة الطلقات و بما راوه من مدافع ضخمة و من مراكب مدرعة لا تقوى اسلحتهم البسيطة على الوقوف في وجهها، و في كل مرة ينتفضون فيها الا ويتمكن جيش افريقيا من سحقهم في الحال⁴⁰.

اقتنع الساسة الفرنسيين بان استقرار الاوضاع في الجزائر لن يتحقق الا بحد السيف وتخويف السكان الاصليين بصورة مستمرة تحت سطوة السلطة الفرنسية، والإبقاء على صورتها المستديمة كقوة عسكرية واستعمارية عاتية، فالشعور السائد ان انهيار فرنسا الاوربية هو الذي عجل بتصدع فرنسا الاستعمارية.

في هذا كتب لوروا بوليو⁴¹ : لقد تزعزعت هيبة فرنسا الى حد بعيد في افريقيا و في اعين العرب، و لمعاقبة تلك الامم الهمجية التي لا تحترم سوى الاقوياء⁴²، و قد باركت العديد من الأوساط السياسية و النخب التدابير القمعية التي سلطت على منطقة القبائل، و على ان تكون جزءا من حلول شاملة، من بينها مواصلة الاحتلال و التوسع في المنطقة و الاستيلاء الكامل على تونس، و هذا ما من شأنه تحطيم الغطرسة و نظرة الازدراء التي تلوح في اعين السكان المحليين⁴³.

اعتبر الساسة الفرنسيين على الاقل عند اولئك المؤيدين للتوجهات الاستعمارية، ان أفضل طريقة لحماية الامبراطورية هو توسعت الاحتلال الى المناطق المجاورة لمستعمراتها، فعندما يصبح النظام الداخلي لأية مستعمرة مهددا من طرف دول او مناطق مجاورة فان لفرنسا الحق في الاستيلاء على هذه الاخيرة بالقوة و توسيع حدود مستعمراتها فيما وراء البحار و منه تكونت عقيدة استعمارية حاكمة ترى في القوة و الوحشية سبيلا لفرض الهيمنة و النفوذ.

لقد حاولت فرنسا ان تتجاوز هزائمها و اعادة الثقة في شعبها و صناعة راي عام فرنسي يؤمن بمبادئ الجمهورية الجديدة من خلال اثاره اعجاب النشئ بالنجاحات السياسية و العسكرية التي تحققتها فرنسا الاستدمارية⁴⁴، و حاولت ان تبرهن للأمم الاخرى بانها عازمة على الاحتفاظ بمكانتها كقوة عظمى و متمسكة بمستعمراتها و "حقوقها".

استطاعت فرنسا في اواخر سنة 1878 من اعادة تحريك ألياتها الاستدمارية، فشكلت لجنة عليا لشؤون المستعمرات⁴⁵، أوكلت لها مهمة هيكلة مصالح الادارة العامة المكلفة بتسيير شؤون المستعمرات، و بناء على قراراتها انشئت كتابة الدولة المكلفة بشؤون المستعمرات في جويلية 1881، و وضعت تحت اشراف وزارة البحرية لتتحول الى وزارة قائمة بذاتها في 20 مارس 1894، و لاشك ان تحويل كتابة الدولة الى وزارة يعد مؤشر للأهمية التي تتعاضم مكانتها في الاهتمامات الاستعمارية لفرنسا، و قد سمح لها ذلك الاستيلاء على العديد من المستعمرات في افريقيا و اسيا و المحيط الهندي، و قد افادتها في استعادة جزء من بريقها بين الإمبراطوريات

الاستعمارية خاصة غريمتها بريطانية، و مكنها من تجاوز عواقب هزيمتها امام بروسيا سنة 1870، و استعادة لحمتها الوطنية بعد احداث كمونة باريس و الحرب الاهلية و انتفاضة الجزائر.

و في هذا السياق صرح وزير مستعمراتها (جورج ليغ) عند انعقاد المؤتمر الاستعماري الفرنسي سنة 1906 ان " السياسة التي انتهجتها فرنسا ،غداة 1870 فيما وراء البحار قد جددت الطاقات و انهضت الهمم و اجبت في النفوس روح المبادرة و حب الحياة، و لقد اندهش العالم لرؤية تلك الشجرة العملاقة التي دمرتها الصاعقة، تخضر من جديد وتمد اغصانها النضرة لتلقي بفيئها على الاراضي التي لم تذق ابدا رغد العيش تحت الضلال الوارفة... " ⁴⁶.

لقد برز عهد جديد في فرنسا، امكن التوفيق بين الملكيين و الجمهوريين و الاشتراكيين الراديكاليين و اقناعهم بضرورة التآزر فيما بينهم من اجل توسيع رقعة الممتلكات الفرنسية فيما وراء البحار، و اصبحت الرهانات الامبراطورية تحظى باجماع شبه كلي، و اصبحت المغامرة الاستعمارية اهم عوامل وحدة الصف بقطع النظر عن تباين الخيارات السياسية و الفلسفية و الدينية، لأنها تسمح بإثارة و تأجيج حب الوطن و اصبح الكثير منهم يدعمون توجهات النظام الامبراطوري التي صاغتها الجمهورية الثالثة . ⁴⁷

الأكيد ان حالة شبه التوافق و الاجماع الظاهرة على النخب السياسية و الاكاديمية الفرنسية في نهاية 1878 سمح لفرنسا وضع تصور لإعادة بعث مشروعها الاستعماري، اتضح ذلك جليا عندما دقت ساعة " السباق على استعمار افريقيا "، فالكل اصبحت متفق على تحقيق هدف مشترك الا و هو تشييد وطن قومي و امبراطورية عديدة و محترمة بين الدول ⁴⁸، و اتخذت لذلك سياسة توسعية على النحو التالي:

- ربط السنغال بالنيجر

- اكتشاف الراضي الداخلية لكل من داهومي وساحل العاج مع تحقيق الاتصال بينهما و بين النيجر.

- العمل على ربط غرب افريقيا بكل من افريقيا الشمالية و افريقيا الاستوائية أي مد النشاط الفرنسي من البحر الأبيض المتوسط حتى الكونغو ⁴⁹.

وفي هذا الجو المفعم بالمشاعر القومية والخطرة الاستعمارية أصبح لفرنسا خمسة مستعمرات كبرى هي: منطقة السنغال الاعلى مع السودان، تونس ومدغشقر مع جزر القمر وطونكين مع انام، وفي هذا كتب رامبو: " لو ان الجمهورية لم تفعل شيئا اخر في سبيل الوطن، سوى هذا الذي فعلته، لكانت هذه النتيجة وحدها كافية لمدة طويلة.....و لعدت من الانجازات المجيدة في تاريخنا " ⁵⁰.

ثالثا: مؤتمر برلين 1884 - 1885:

نظر الأوروبيون الى القارة الافريقية كأرض عذراء ذات تاريخ مظلم، و لذا فهي تصلح لان تكون مختبرا للتجارب السياسية و الاقتصادية و توفر فرصا سانحة فيها خلاص دول القارة العجوز التي تعاني من أزمات و ظروف خطيرة⁵¹، و بالنظر الى الاصقاع الافريقية الشاسعة و ندرة السكان القاطنين فيها ، فإن افريقيا هي مجال التوسع الاكثر ملائمة للدول الاوربية المكتظة بالسكان و التي اصبحت تفتقر الى متنفس فسيح و حيز جغرافي كاف⁵².

ساهم العديد من المفكرين الاستعماريين في بلورة مضامين هذا المشروع الاستعماري و تطلعاته ،و عصفوا قرائحهم لتصور الاساليب الكفيلة لإنجاحه ،و اصبحت الحلم الافريقي مجالا خصبا للبحث و التجسيد ،و قدموا هذا المشروع على انه سيحدث في افريقيا انقلابا جذريا على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والعربي، وستصير معظم ارجائها موطنًا للجنس الابيض وتخضع لهيمنة القوى الامبراطورية، وستتحول الى مستعمرة استيطانية شاسعة وتتأسس في ارجائها شركات حديثة من طرف البيض ولمصلحتهم، وستتطور بصورة منسجمة وتعطى الاولوية للزراعة⁵³ وتربية الحيوانات⁵⁴، و على غرار ما حدث في الامريكيتين، ستصبح الاراضي الافريقية بمثابة امتداد طبيعي لأراضي القارة العجوز⁵⁵، التوسع والهجرة والتجدد، تلك اهداف رئيسية لهذا المشروع الطموح الذي اوعز للأوروبيين بان افريقيا ارض الميعاد⁵⁶.

كانت الممتلكات الفرنسية فيما وراء البحار سنة 1882 مجموعة مستعمرات متناثرة وضيقة المساحة ولا رابط بينها، ناهيك عن قلة عدد سكانها الاصليين بالمقارنة مع المستعمرات البريطانية او الهولندية التي تؤلف امبراطوريات حقيقية غنية بمواردها الاولى وسكانها الكثيرين، ولذلك كانت الدعاوي الى ضرورة التعجيل بتشديد امبراطورية فرنسية افريقية شاسعة واخرى اسيوية لا تقل عنها اهمية.

امام ما كانت تعانيه فرنسا من تأزم داخلي على مستويات مختلفة ومنافسة رهيبة من لدن قوى استعمارية أخرى، كتب لوروا «ان بين يدي وطننا حل ناجع للتخلص من هذا التدهور هو مواصلة الحملات الاستعمارية وإذا أعرضنا عن الاستعمار فسوف يكون مصيرنا اسوأ من مصير الاسبان والبرتغاليين.... ان الاستعمار بالنسبة لفرنسا مسألة حياة او موت، فإما ان تصبح فرنسا قوة افريقية عظمى او تكون بعد قرن او قرنين مجرد قوة اوروبية من الدرجة الثانية»⁵⁷.

ظهر جليا توجه القوى الاوربية الخمس الكبرى على الأقل الى محاولة فرض سياسة الامر الواقع، في اطار عملية استباقية للسيطرة و النفوذ في افريقيا مستخدمة في ذلك البعثات التبشيرية و عقد الاتفاقيات التجارية مع بعض اشكال القوى المحلية في افريقيا بالإضافة الى البعثات الاستكشافية ،و كانت مسألة حوض الكونغو و تبعاتها سببا أساسيا في ارسال مؤشرات حول حالة الاحتقان بين القوى الاوربية ،في هذا الظرف تبنى

بسمارك⁵⁸ فكرة عقد مؤتمر دولي لتسوية المنازعات الناجمة عن اوجه النشاط الاوربي في منطقة الكونغو، وكان المؤتمر⁵⁹ محاولة من بسمارك و جول فيري وزير خارجية فرنسا لاستخدام الطرق الدبلوماسية لاقتطاع القارة الافريقية⁶⁰.

و قد اعلن بسمارك تأييده و كرر الاطروحة القائلة بأن الاستعمار اداة لنشر الحضارة بين الشعوب و الاعراق المنحطة مؤكدا ما رده فيري حيث صرح " اكرر القول بان الاجناس الراقية تملك حق احتلال غيرها لان عليها بعض الواجبات ازاءها، فمن واجبها ان تنتشر الحضارة بين الاجناس الدنيا⁶¹، و حدد هذا الهدف للقوى العظمى المجتمعة في المؤتمر لتسطير مستقبل القارة الافريقية⁶²، و لم يكن الغرض الاصلي المعلن للمؤتمر هو محاولة تقسيم افريقيا تقسيما شاملا، غير انه انتهى رغم ذلك بتوزيع اقاليمها و اصدار قرارات بشأن حرية الملاحة في نهري النيجر و البنوي و روافدهما، و ارساء القواعد التي يتعين مراعاتها مستقبلا فيما يتعلق باحتلال الاراضي على سواحل افريقيا.

و ان قراءة في مضامين البيان الختامي لأشغال هذا المؤتمر تؤكد بصورة رسمية هذه التوجهات و كذا الواجبات التي تقع على كاهل الدول المشاركة في المؤتمر و تعهداتها بخصوص الحفاظ على السكان الاهالي و تحسين ظروف معيشتهم المعنوية و المادية، و مما جاء فيه:

• المادة 34 من وثيقة مؤتمر برلين التي وقعها المشتركون في المؤتمر تنص على انه يجب على اي دولة اوربية تستولي في المستقبل على اية بقعة من الساحل الافريقي و تعلنها محمية ان تخطر بذلك الدول الموقعة على وثيقة برلين كما يتم التصديق على دعواها و عرف هذا المبدأ بمبدأ مناطق النفوذ الذي ارتبط به مفهوم "سخيف"⁶³ هو مفهوم الاراضي الخلفية او الداخلية (Hinterland) الذي اصبح يفسر بان امتلاك ساحل ما يعني ضمنا غير امتلاك الاراضي الواقعة خلفه الى مسافة تكاد تكون غير محدودة.

• المادة 35 من وثيقة مؤتمر برلين وتنص على ان من يحتل مثل هذه الممتلكات الساحلية يتعين عليه ايضا ان يبرهن على ان لديه فيها ما يكفي من السلطة لحماية الحقوق القائمة ولحماية حرية التجارة وحق العبور عند الاقتضاء في ظل الشروط المتفق عليها، عرف هذا المبدأ بمبدأ الاحتلال الفعلي (Effective Occupation)⁶⁴، وهو المبدأ الذي قدر له ان يجعل من غزو افريقيا مغامرة دموية، باسم حماية المصالح الوطنية و مصالح السكان في البلد الام، يحق للدولة ان تروج لهذه السياسة القائمة على القوة، مما يجيز لفرنسا السيطرة على بقية انحاء العالم لسبب وحيد هو انها الاقوى اقتصاديا و تقنيا و عسكريا و ان مصالحها تقتضي ان تستمر في توسيع ممتلكاتها.

والواقع ان الدول الاوربية ارست قواعد ونظما للاستيلاء القانوني على الاراضي الإفريقية قد انتحلت لنفسها حق اقرار مبدأ اقتسامها وغزوها فما ان حل عام 1885م حتى كانت قد رسمت الخطوط العريضة للتقسيم النهائي للقارة الإفريقية.

وبعد أربع سنوات انعقدت ندوة بمدينة لوزان بمبادرة من معهد القانون الدولي، وصادقت على توصيات مؤتمر برلين، وأكدت على ضرورة احترام السياسة الاستعمارية المتفق عليها معلنة ان " اباداة الاعراق المنحلة وكل اشكال القهر وسوء المعاملة المسلطة على الاهالي اصبحت عملا محظورا منذ ذلك الوقت فصاعدا"⁶⁵

ان نصوص مؤتمر برلين والمؤتمرات والندوات المنعقدة بعده تؤكد باننا امام عقيدة اوروبية جديدة، حاولت اضافة صبغة شرعية على التوسع الاستعماري، وسمحت لقادة الدول التستر وراء جملة من المبادئ الجديدة ذات الصبغة الانسانية⁶⁶، ففي سنة 1893 أي بعد عقد واحد من مؤتمر برلين كانت كل القارة قد اقتسمت بين القوى الأوروبية و انخفضت نسبة المساحة المستقلة فيها من 95% سنة 1885 ال 8% سنة 1910⁶⁷

في سياق التأكيد على اهمية تلك التحولات و اسبابها ،كتب فيرني دوبيانس في اطروحته القانونية التي نشرها سنة 1905 يقول: " اخيرا ادرك الناس ان الاهالي سواء اكانوا من العرق الزنجي او الصفر ،انما هو قبل كل شيء بشر لهم الحق في التمتع بمكان تحت الشمس .ولقد اقتنع الناس بان لو اكتفى المستوطنون بالاعتماد على قواهم وحدها، دون استخدام الايدي العاملة الاهلية، لما تمكنوا من تحقيق جميع الانجازات التي شرعوا فيها، لاسيما في البلدان التي لا تسمح ظروفها المناخية للأوروبيين القيام بأشغال تتطلب جهودا عضلية، لهذا فلا مجازر بعد اليوم و لا اباداة جماعية، بل ينبغي على العكس توخي الحذر الشديد من اجل الحفاظ على هؤلاء القوم الذين نحتاج الى سواعدهم الثمينة "⁶⁸. ففي إفريقيا مثلا كان الاستعمار يتشدد بانة شركة تعاونية بين العقل الأبيض و العضل الأسود white Brain & black brawn و على هذه الدعاوي رتب انه "زواج سياسي" بيت المتروبول أي الدولة الام و بين المستعمرة التابعة⁶⁹ .

بل ان بعض المفكرين الاستعماريين اكتشفوا ان السكان الاصليين لا يمثلون يدا عاملة فحسب، بل يمثلون ايضا قدرة استهلاكية معتبرة فاذا تعلموا اقتناء المواد الاتية من البلد الام، فانهم سيساهمون لا محالة في حيوية التجارة والصناعة في هذا البلد⁷⁰. ان اليات "الاستثمار الاستعماري" المزعوم هي في الحقيقة عملية هدم وابتزاز لاقتصاديات المستعمرات raubwirtschaft، والواقع أكد ان ميكانيكية الاستعمار باختصار مضخة ماصة في المستعمرات⁷¹.

ربط الكثير من الفرنسيين شرف فرنسا ودليل سطوتها وعظمتها بما لها من ممتلكات ما وراء البحار وعظمة كل الذين بادروا بخوض هذه المغامرة الاستعمارية. انتقلت مساحة المستعمرات من اقل من مليون كلم² الى

ثلاثة عشر مليون كلم² تقريبا، وانتقل عدد الأهالي من سبعة ملايين الى ثمانية و أربعين مليونا ثم بلغ ستين مليون نسمة سنة 1938. انه توسع هائل على الصعيدين الجغرافي و الديموغرافي.⁷²

و قد نشطت فرنسا الاستعمارية نشاطا كبيرا بعد مؤتمر برلين و اتمت توسعاتها في غرب افريقيا بالصبغة العسكرية ،فقد احتلت المناطق الداخلية ووفر لها نهر السنغال و النيجر طريقا للتوغل داخل القارة، كذلك تمكنت من اتخاذ ساحل غيبييا قاعدة لانطلاقها نحو المناطق الداخلية⁷³ لكل من داهومي وساحل العاج وبذلك نستطيع ان نلخص الغزو العسكري الفرنسي لغرب افريقيا بعد مؤتمر برلين عن مسارين:

- المسار الأول: من السنغال المستعمرة القديمة التي اتخذت قاعدة للانطلاق والتوغل نحو تشاد والنيجر

- المسار الثاني: عن طريق ساحل غيبييا حيث توغلت فرنسا في المناطق الداخلية لداهومي وساحل العاج وبذلك أمكنها ربط مستعمراتها في الغرب الافريقي بعضها ببعض الآخر⁷⁴.

ليس من اليسير فهم الدوافع الوطنية التي مكنت فرنسا من الفوز في سباق " القفز على الحواجز " حسب تعبير فيري والذي شاركت فيه فرنسا على جميع القارات، و لكنهم اعتبروا ما تم تحقيقه من توسعة لجغرافية المتروبول انتصارا بل اصبح الكل يحاول المساهمة في تطويرها و الحفاظ عليها حتى و لو بالقهر و حد السيف و المدفع انها عقيدة القوة ،في هذا كتب ساروت سنة 1923: " هذه الامبراطورية الاستعمارية لنا لا لغيرنا، وهي ضمان مستقبلنا و خلاص وطننا، هي امن بلدنا اليوم و ثروته غدا، ستكون في منظور التطور الانساني عربون امجادنا في السنوات المقبلة، هذه هي الحقيقة فلا ينبغي ان نمل من ترديدها⁷⁵.

الخاتمة:

شهد العالم أواخر القرن التاسع عشر موجة استعمارية غيرت الكثير من المعطيات السياسية و الاقتصادية و العرقية في قارة افريقيا، و شكلت الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية احدى اكثر التجارب المؤلمة لشعوب افريقيا، لما عانوه من اثار الاحتلال و التكتيل و القهر، مازالت انعكاساته ظاهرة الى يومنا هذا، و ان الضرورة تقتضي البحث و تشريح أساليب الاستعمار، و محاولة فك الارتباط الذي مازالت دول افريقية كثيرة مرتبطة بالدولة المستعمرة، هذه الامبراطورية الاستعمارية التي بنتها فرنسا على دماء وأشلاء السكان الأصليين، والتي حاولت من خلالها ان تقدم للعالم أنموذجا لنجاحات استعمارها، لكنه كان نموذجا سيئا وبشعا، والمفارقة العجيبة انه بقدر السرعة التي اتمت بناء إمبراطوريتها بقدر السرعة التي أنت عليها وانتهت حركات تحررية وطنية، و ما كان ليتحقق ذلك لولى الوعي التاريخي بالمسائل الافريقية، و استراتيجية التحرر للشعوب الافريقية.

الإحالات

- ¹ - امحمد مالكي، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2 ،بيروت،1994، ص 14
- ² - جمال حمدان، استراتيجية الاستعمار و التحرير، دار الشروق، ط 1،1983، ص 49
- ³ - امحمد مالكي، المرجع السابق، ص 14
- ⁴ - نفسه، ص 11
- ⁵ - اوليفي لوكور غرانميزون، الجمهورية الإمبراطورية في سياسة الدولة العنصرية، تر.مسعود حاج مسعود، دار القصة للنشر،2009، ص55
- ⁶ - E.Seilliere : La Philosophie de l'Impérialisme , Revue Philosophique de Louvain Année 1911 pp. 146-147
- ⁷ - Édouard Richard, Ernest Renan penseur traditionaliste, Presses universitaires d'Aix-Marseille, 1996
- ⁸ - حمدان، المرجع السابق، ص 50
- ⁹ - مالكي، المرجع السابق ، الصفحة باء من المقدمة العامة.
- ¹⁰ - ليس الهدف من هذه الدراسة التأريخ للاستعمار كتجربة اليمّة للبشرية، و لكن من باب محاولة تشريح اليات الاستعمار وعدم الاكتفاء بمظاهره.
- ¹¹ - شوقي الجمل، تاريخ كشف افريقيا و استعمارها، القاهرة، 1971، ص 450
- ¹² - حمدان ، المرجع السابق، ص 49.
- ¹³ - وهي مناطق تبلغ نحو سدس المساحة الاجمالية لقارة افريقيا .
- ¹⁴ - حمدان ، المرجع السابق، ص 49.
- ¹⁵ - تم وضع أسس نظام توازن القوى في أوربا في مؤتمر وستفاليا سنة 1648 عقب نهاية الحروب الدينية (حرب الثلاثين عام 1614 - 1648) و فيه وضعت جملة أسس لاستتباب السلم و الامن القاريين في اوربا،ليعاد صياغة مبادئه بعد احداث الثورة الفرنسية و حروب نابليون القارية (1789 - 1814) ،
- ¹⁶ - ج.جرانت، أوروبا في القرنين التاسع عشر و العشرين (1789-1950) ،القاهرة 1978، ج 02، ص 32
- ¹⁷ - serres ;j,op.cit,pp 61-62
- ¹⁸ - J.Ferry, Discours du 28 juillet 1885,in discours et opinions
- ¹⁹ - الهام محمد علي ذهني، جهاد الممالك الإسلامية في غرب افريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850-1914)،دار المريخ للنشر، الرياض، 1988، ص 60
- ²⁰ - J.ferry ,discours du 16 avril 1881,in discours et opinions t.4
- ²¹ - Moland,Richard :Afrique Occidentale Française (paris 1949) ;p.136
- ²² - ذهني، المرجع السابق، ص 61
- ²³ - Hanotaux,Gabriel ;Maritineau,Alfred :Histoire des colonies Françaises et de l'expansion de la France dans le monde, tome IV ,Paris,1929,p.260-261

- ²⁴ - Jérôme Baconin, Paris 1870-1871, l'année terrible, éditions Alan Sutton, coll. « Mémoire en images », 2007
- ²⁵ - عبد العزيز نوار، التاريخ المعاصر: أوروبا من الحرب البروسية حتى الحرب العالمية الثانية، القاهرة، 1979، ص ص 220-221
- ²⁶ - Pierre Milza, L'année terrible - La guerre franco-prussienne septembre 1870 - mars 1871, Éditions Perrin, 2009
- ²⁷ - Jérôme Grévy, *La République des opportunistes, 1870-1885*, Paris, Perrin, coll. « Terre d'histoire », 1998, 1 vol.
- ²⁸ - ذهني، المرجع السابق، ص.63
- ²⁹ - نفسه، ص 63.
- ³⁰ - غرانميزون، المرجع السابق، ص48
- ³¹ - فيري Jules-François Camille (1832 - 1893) اشتهر بكونه سياسي فرنسي مهندس الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية، استهل حياته في سلك المحاماة ثم تقلد مناصب انتخابية في الهيئة التشريعية و بعد سقوط الامبراطور نابليون الثالث عين محافظا على مقاطعة السين seine، و منصب سفير في اليونان، فوزيرا للتربية الوطنية في 1879 ضمن حكومة وادنجتون Waddington. و خلال الفترتين التي شغل خلالها منصب رئاسة الحكومة (1880-1881) و (1883-1885)، قامت فرنسا بالاستيلاء على ممتلكات جديدة ضمتها الى إمبراطوريتها، و أصبحت ثاني أوسع إمبراطورية استعمارية، و يعود اليه الفضل في ذلك، بعدما تبنى سياسة استعمارية نشطة، حاول تبريرها و اصباغها بالنزعة الإنسانية. للمزيد انظر: Maurice Reclus : Jules Ferry 1832-1893, Paris :Flammarion 1947.
- بالإضافة الى دراسة البروفيسور دحو فغرور المعنونة : جول فيري: مهندس الإمبراطورية الفرنسية، الصادر في مجلة عصور الجديدة، العدد الأول، 1432 هـ - 2011م.
- ³² - جورج بنجامن كلمنصو Georges Benjamin Clemenceau (1841-1929) فرنسي و رجل دولة، كان طبيبا و امتهن الصحافة. عين وزيرا للداخلية ثم رئيسا للوزراء لفترتين (1906 - 1909) و (1917 - 1920)، كان معارضا لسياسة الاحتلال و الاستعمار واعتبر هذه الممارسة استعباد الانسان و تعذيبه و انه ليس بحق بل هو نقيض الحقو ان الحديث عن الرسالة الحضارية للاستعمار انما هو مزاجية بين العنف و المكر و لئن تخلى عن هذه التصريحات فيما بعد ليتبنى نفس المواقف التي كان يدينها من قبل. Michel Winock, Clemenceau, Paris, Perrin, 2007, انظر أيضا تاليف مهم لكليمونصو بعنوان : Le tournant colonial de la république in 1885.
- ³³ - غرانميزون، المرجع السابق، ص.48
- ³⁴ - خلد اميل زولا احداث حرب 1870 و كمونة باريس برواية الانهيار، واصفا بشكل دقيق و رهيب الأسبوع الدامي (21-28 ماي 1871)، و احداث كمونة باريس و انحسارها امام ضربات قوات فرساي
- ³⁵ - Pierre Milza, L'année terrible - La guerre franco-prussienne ,op.cit.pp.153-155
- ³⁶ - L.Rinn ;Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie ,alger,A.Jourdan,1891
- ³⁷ - غرانميزون، المرجع السابق، ص51
- ³⁸ - L.Rinn ;Histoire de l'insurrection de 1871 en algerie ,alger,A.Jourdan,1891,p. 648
- ³⁹ - M.Wahl,L'algerie,paris,F.Alcan,1903,4^e édition

- 40- Ibid,
- 41- ساهمت افكار لوروا بوليو كثيرا في وضع الاسس التاريخية و السياسية للذهنية الاستعمارية التوسعية ، و قد نشر كتاب بعنوان " نظرات حول فكرة الاستعمار لدى الشعوب الحديثة " و قد اعيدت طباعته خمس مرات من 1874 الى 1902 ، و صفه بول موس في كتابه Le Destin de l'union Française بأنه " الكتاب المفضل لدى انصار التوسع الاستعماري " و هو صاحب مقولة " ان الاستعمار بالنسبة لفرنسا مسألة حياة او موت " وقد تأثر بأفكاره الكثيرون خاصة جول فيري.
- 42- P.Leroy –Beaulieu,La Politique Française en Algérie, p.13-14
- 43- Ibid
- 44- و من تلك الدعاية يمكن مراجعة محاضرة شالي برت J.Chailley-Bert بعنوان الاستعمار الفرنسي في القرن 19 عشر موجهة لمعلمي المدارس، و هذا بالنظر الى قوة التأثير و دورهم في تشكيل الراي العام الفرنسي بفضل ما يتمتعون به من مكانة في المجتمع و هي جزء من حملة دعائية واسعة لنجاحات الاستعمار، خلال سنة 1900م.
- 45- ترأسها ثلاثة اعضاء هم : الجنرال فريبو و الكونت دير ابسون و فيكتور شولشر و هم من اعضاء مجلس الشيوخ الفرنسي، انظر دحو فغور ، مرجع سابق، ص 112-113
- 46- Congres Colonial Français de 1906
- 47- وردت هذه الفقرة في رسالة دكتوراه في القانون نشرت سنة 1905 م، انظر:
- 48- J.Vernier de Byans, Condition Juridique et Politique des indigènes dans les possessions coloniales Hanotiaux,Gabriel ;Maritineau,Alfred :Histoire des Colonies Françaises et de l'expansion de la France dans le monde ,op.cit
- 49- ذهني، المرجع السابق، ص63
- 50- Cook. James, New A.Rambaud : Les Nouvelles Colonies de la République Française انظر أيضا: French Imperialism(1880-1910) ,London.1973
- 51- غرانميزون ، المرجع السابق ، ص336
- 52- E.L.Guernierm :L'Afrique : Champ d'Expansion de l'Europe,op.cit,pp.28-33
- 53- حتى الزراعة الاستعمارية هي مشروع صناعي بقدر ما هي عملية زراعية وصفت بانها زراعة تعدينية mining agric أي تخريبية هدمية لأساليب الزراعية المتوفرة وغالبا ما كانت لسد حاجيات المستعمر من منتجات تجارية اكثر منها زراعات استهلاكية.
- 54- J-B.Piolet,la France hors de France,op.cit
- 55- وإذا صح ان افريقيا كانت المجال الحيوي لأروبا فإنها في معنى حقيقي جدا مجال الموت Todesraum لأبنائها هي "عن الدلالات العميقة للمجال الحيوي انظر.: R.R.Kuczynski,L'Espace vital et les problèmes de population.
- 56- غرانميزون ، المرجع السابق ، ص335-336
- 57- P.Leroy –Beaulieu : De la Colonisation chez les peuples modernes ,op.cit, 2^e édition 8 mai 1882.p.20
- 58- أوتو إدوارد ليوبولد، الأمير فون بسمارك 1815-1898 من اشهر الساسة الأوربيين في القرن التاسع عشر، كان رئيسا لوزراء امارة بروسيا و وزير خارجيتها قبل ان يكون المنظر و المهندس لتأسيس القيصرية الألمانية الثانية و تحقيق الوحدة القومية

- Jean-Paul Bled, Bismarck : الألمانىة، و قد اثرت أفكاره على الواقع السياسى الداخلى و الخارجى لألمانيا، للاطلاع اكثر :
De la Prusse à l'Allemagne, Alvik Éditions, 2005
- ⁵⁹ - عقد المؤتمر فى برلين فى الفترة الممتدة ما بين 15 نوفمبر 1884 الى 26 فبراير 1885 و حضرته 14 دولة منها خمس كان لها النصيب الاكبر فى الاهتمام بالقارة الافريقية: ألمانيا، بريطانيا، البرتغال، فرنسا، و بلجيكا. انظر: Henri Brunschwig : Le Partage de l'Afrique noire, Flammarion, coll. « Champs histoire », 2009.
- ⁶⁰ - كان مباركة بسمارك للاحتلال الفرنسى لتونس مصدر خجل لفيري الذى أصبح من يومها ينعث بحليف بسمارك.
- ⁶¹ - J.Ferry, : Discours du 28 juillet 1885,in discours et opinions
- ⁶² - لعب بسمارك دورا رائدا فى الموازنة الدولية ،و التقريب بين وجهات النظر الساسة الأوربيين و مصالحهم ،فى محاولة منه تقايد الانتقام الفرنسى بعد حرب 1870 و توجيه انظارها الى خارج القارة و قد تبنى سياسة خارجية لم ترق للرأسماليين الالمان او اللوبي الصناعى المالى الألمانى و كان أساس علاقاته ينطلق من ان " ما حققناه فى سبع سنين سنضطر للدفاع عنه سبعين سنة " انظر : Bled,op.cit
- ⁶³ - ألبير ادو بواهن ،افريقيا فى مواجهة التحدي الاستعماري، ضمن سلسلة تاريخ افريقيا العام، المجلد السابع: افريقيا فى ظل السيطرة الاستعمارية 1880-1935،اليونسكو/اديفرا، ص 49
- ⁶⁴ - نفسه
- ⁶⁵ - J.Vernier de Byans, Condition juridique et politique des indigènes dans les possessions coloniales,op.cit.pp.211-214
- ⁶⁶ - غرانميزون ،المرجع السابق ، ص 385
- ⁶⁷ - حمدان ، المرجع السابق، ص 121
- ⁶⁸ - J.Vernier. Condition juridique et politique.op.cit,pp.234-236
- ⁶⁹ - D.Westermann,The African today & tomorrow,London,1939,p.03 نقلا عن حمدان،مرجع سابق ،ص 118
- ⁷⁰ - غرانميزون ،المرجع السابق ، ص 387.
- ⁷¹ - حمدان، مرجع سابق ، ص 118.
- ⁷² - B.Bertrand :De l'Utilité des Empires,Paris,A.Collin,2005.
- ⁷³ - ذهني، مرجع سابق، ص 79.
- ⁷⁴ - Ambriere,Francis :Les Guides bleus l'Afrique occidentale Francaise,Paris,1958,p.57 نقلا عن ذهني ،مرجع سابق،ص 79.
- ⁷⁵ - غرانميزون ،المرجع السابق ، ص 323